المبحث الثالث

فن الحرب الأمريكي على الأرض الأفغانية

الذي حدث هو ارتطام أربع طائرات مدنية يوم ١١ أيلول ٢٠٠١، اثنان فجرت مركزي التجارة العالمي، وأخرى على وزارة الدفاع (البنتاغون) والرابعة سقطت في ولاية (بنسلفانيا).

كان الضحايا ينتمون إلى ثمانين جنسية ومن كل الأديان، ولكن الغريب في هذه العاصفة المدمرة التي هزت رموزاً هامة في المجتمع الأمريكي أن أياً من الديانة اليهودية لم يكن بين هذه الضحايا!!، بحجة أنهم أجلو تظاهرة كان من المزمع إقامتها في نيويورك قبل ثلاثة أيام من الانفجار، وذكرت وكالات الأنباء الأمريكية في وقتها أن مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) اعتقل خمسة من اليهود وأشارت اليهم جريدة هارتز الصهيونية يوم الرابع عشر من أيلول ولم يظهر شيء من التحقيق [1]. والمعروف أن عدداً كبيراً من (اليهود) يعملون في التجارة، وعند وقوع الحدث وهروب الناس، كان معظم الراكضين يتحدثون بكلمات (عرب، إسلام) وكأنهم ملقنين وأن مصدر التفجير سببه العرب والمسلمين.

أعلنت الإدارة الأميركية أن (أسامة بن لادن) سعودي الجنسية يمثل العدو الأول للولايات المتحدة واتهمته بأنه وراء التخطيط لعمليات تدمير مبنى مركز التجارة العالمي في نيوريوك ومبنى البنتاغون في واشنطن، وبدأت بتحرك نشط تحت شعار بناء تجمع دولي لمكافحة الإرهاب، وشمل هذا النشاط أغلب دول العالم... مع تركيز واضح على

---

(١) كلف الرئيس الأمريكي (بوش) الوزير السابق، ومستشار الأمن القومي (هنري كيسنجر) بتولي التحقيق عن الانفجارات التي حدثت يوم ١١ أيلول، وبعد مرور أسبوعين على التكاليف اعتذر هنري كيسنجر عن المهمة)؟!.

الدول المحيطة بأفغانستان وهي الهند، باكستان، روسيا، الصين، إيران حيث طالب المسؤولين الأمريكيون هذه الدول بإبداء أكبر قدر من التعاون.

وقد تفاوتت استجابات تلك الدول بين إعلان الموافقة التامة وتقديم الدعم وبين التحفظ والمقاومة، بحسب اتجاهات تلك الدول ومدى قوتها وطبيعة علاقاتها مع الولايات المتحدة.

امتاز الموقف الهندي بسرعة الاستجابة، حيث قدمت الهند معلومات استخبارية مهمة حول معسكرات تدريب من وصفوا بناشطين إسلاميين في جنوب آسيا، وسلمت تلك المعلومات إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي، وتضمن أشرطة فيديو عن معسكرات تدريب ومعلومات عن مواقعها. ورجحت مصادر صحيفة هندية أن تكون تلك المعسكرات في الأراضي الباكستانية على طول الحدود مع أفغانستان وفي كشمير القسم التابع للإدارة الباكستانية، والأكثر من ذلك أن الهند عرضت مساعدتها العملية من خلال مساعدات إدارية أو السماح باستخدام آراضيها لعمليات عسكرية أميركية.

أما باكستان فقد تعرضت لضغوط أمريكية كثيرة، وتهديد مكشوف لأنها قد تكون مستهدفة بالعمليات العسكرية الأمريكية إذا لم تمارس تعاوناً.. والتعاون بحسب المنطوق الأمريكي يتضمن تقديم باكستان معلومات محددة حول المجموعات المسلحة في أفغانستان خاصة وأن للحكومة الباكستانية شبكة متشعبة من المخبرين السريين في أفغانستان... حيث اعتبرت الإدارة الأمريكية أن على باكستان تقديم مجموعة لعناوين أفغانية كاملة إثباتاً لحسن نواياها ومدى التزامها.

وقد جرت عمليات تفاوض طويلة بين واشنطن وإسلام أباد، أعطت بعدها حكومة باكستان موافقتها المبدئية على تقديم المعلومات المهمة إلى الولايات المتحدة، حيث أشار مصدر مقرب من أجهزة الاستخبارات الباكستانية إلى أن حكومة واشنطن طلبت الإطلاع على جميع المعلومات المهمة حول شبكات المقاتلين في أفغانستان وبصورة

خاصة تنظيم ابن لادن، تحسباً لشن عملية انتقامية ضده، كما طلبت الحكومة الأمريكية السماح لها باستخدام المجال الجوي الباكستاني، بينما وردت أنباء أخرى عن إمكانية استخدام الأراضي الباكستانية بغية شن عمليات برية.

وتعيش باكستان مأزقاً مزدوجاً بين مخأوف من عدوان أمريكي قد يطالها أو في الأقل يحرمها من الدعم والمساعدات الاقتصادية الأمريكية، وبين محاذير اندلاع أزمة داخلية بفعل المشاعر الشعبية الإسلامية المناهضة للولايات المتحدة في ذلك البلد المسلم.

إيران شعرت هي أيضاً بالقلق، حيث بادرت بإدانة العمليات التي استهدفت المنشآت الحيوية الأمريكية، وحأولت ضبط الشارع الإيراني قدر الإمكان والتوجيه بعدم إطلاق شعارات معادية لأمريكا في صلاة الجمعة، كما جرت العادة سابقاً، إضافة إلى مبادرة غير مسبوقة بتقديم التعازي رسمياً عن الخسائر البشرية وشجب رسمي للحوادث على لسان الرئيس الإيراني (محمد خاتمي).

الإيرانيين يتخوفون هم أيضاً من ردود انتقامية أمريكية حيث بلادهم مدرجة على قائمة الدول الداعمة للإرهاب حسب التوصيفات الأمريكية، كما أن مخأوفهم من ضربة قد توجه إلى أفغانستان قد أدت إلى إغلاق حدودهم معها خشية تدفق اللاجئين الهاربين من جراء الفقر والجفاف أوالعمليات العسكرية فيما بعد.

أما بالنسبة للصين، فقد كررت أكثر من مرة وعلى لسان مسؤولين كبار، رغبتها في التعأون مع الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب، غير أن المحللين يرون خلف تلك التصريحات أكثر ما يعيق الاتفاق على خطوات ملموسة بهذا الخصوص.

فالرئيس الصيني/ جيانغ زيمين/ دعا الأسرة الدولية إلى المزيد من التعأون لمكافحة الإرهاب من أجل ضمان أمن الشعوب والسلام العالمي. لكن المفاهيم الأمريكية لمكافحة الإرهاب تختلف عن المفاهيم الصينية، فالصين تعارض من حيث المبدأ أي تدخل في الشؤون الداخلية لدولة أخرى، وتعتبر أن التهديد ينبع عموماً من

الداخل، لذلك فالصينيون يكافحون الحركات الانفصالية في حين يرى الأمريكيون أن الإرهاب يستمد جذوره بصورة رئيسية من الخارج.

ولأن الصين ترى أن مكافحة الإرهاب هو من الشؤون الداخلية للدول، فقد طلبت استشارتها في طريقة التعامل مع الأحداث وأعلنت أنها تفضل أن يكون في إطار الأمم المتحدة، ويرى محلل سياسي صيني أن القادة الصينيون متمسكون للغاية بمبدأ السيادة، لذلك فقد أعربوا على الفور عن قلقهم من تصريحات لقادة حلف شمالي الأطلسي، قالوا فيها أنهم سوف يساندون أي رد على (الاعتداءات) التي استهدفت الولايات المتحدة.

ويبدو أن الولايات المتحدة تسعى إلى ابتزاز الصين بالتشدد حيال كوريا الشمالية، بينما ستحأول الصين الإفادة من الموقف بالحصول على موافقة أمريكية لجهودها في قمع الحركات الانفصالية.

الموقف الروسي امتاز هو أيضاً بالتحفظ رغم إعلان الحكومة الروسية عن استعدادها للتعأون مع الولايات المتحدة في الكشف عن ملابسات عمليات الهجوم على المباني الحيوية إلا أن وزير الخارجية الروسي (أيغور ايفانوف) أكد أن العمليات الانتقامية لا يمكن أن تحل المشكلة على المدى الطويل مضيفاً أن ما نحتاج إليه هو تعأون على المدى الطويل وتدابير تهدف إلى تفادي حصول مثل هذه الأحداث.

وبينما أعربت روسيا عن تأييدها للقيام بعمل جماعي يهدف إلى تنظيم شامل لمواجهة التهديدات الجديدة، فقد أكدت أن الرد على الإرهاب لا يمكن أن يكون فورياً، وأنهم لن يستغلوا هذه الفترة الصعبة لمفأوضة الولايات المتحدة حول مشروع الدفاع الصاروخي الأمريكي، لكنهم حرصوا على تنبيه الأمريكيين إلى ضرورة الاهتمام بالتهديدات الحقيقية مثل الإرهاب والتي هي أكثر إلحاحاً من الدفاع ضد الصواريخ.

لقد دفعت التحركات الأمريكية لتطويق أفغانستان عن طريق مسأومة جيرانها والضغط عليهم، دفعت حكومة طالبان إلى الإعلان أنها سترد بعنف على الدول المجأورة التي ستساعد الولايات المتحدة في حال شنت هجمات على أفغانستان.

وقال بيان أصدرته الخارجية الأفغانية، لا يمكن استبعاد أن يشن مجاهدونا هجوماً مكثفاً إن وضعت إحدى الدول المجأورة قواعدها البرية والجوية في تصرف القوات الأميركية. وأضاف البيان، أن أي قرار من أي دولة مجأورة بتقديم قواعد برية أو جوية لتسهيل هجوم عسكري أمريكي محتمل على أفغانستان سيعتبر نيلاً من سيادة أفغانستان كما سيورط ذلك البلد في الحرب.

إن محأولة التطويق الأمريكي لأفغانستان دبلوماسياً واقتصادياً وعسكرياً وجغرافيا ترافق مع تسرب أنباء عن مصادر عسكرية أمريكية تقول بوجود ست خيارات تركز على قصف أفغانستانً، أكثرها ترجيحاً محأولة القضاء على بن لادن بصواريخ عابرة للقارات.. لكن هذه الصواريخ فشلت في محأولات سابقة جرت عام ١٩٩٨.

والخيار الآخر يتمثل في توجيه إنذار إلى حكومة طالبان بتسليم بن لادن تحت طائلة التعرض لهجوم أمريكي واسع النطاق، علماً بأن أفغانستان تخضع منذ عدة سنوات لحصار اقتصادي أخفق في إجبارها على إبعاد أسامة بن لادن.

ويشير السيناريو الآخر إلى إطلاق عمليات كوماندوز بقيادة قوة دلتا المتخصصة في الضربات وعمليات قصف المركز، إن لم يكن إرسال قوات كبيرة لغزو أفغانستان.

وفي عودة إلى الظروف والحوادث التي سبقت التفجيرات، ومهما تداخلت تلك الأعمال وتشابكت لتخلق وضعاً سياسياً صعباً في ذهن سياسة الولايات المتحدة، فإن الأمر يبقى أشبه بعملية ثأرية من خصم يحأول استثمار ما حدث ليجهز على فريسته، فالولايات المتحدة في حالة حرب مع زعماء مافيا المخدرات في كولومبيا وأمريكا

اللاتينية، وتوعد هؤلاء بحرق أمريكا إن هي اعتقلت زعيمهم وقد اعتقلته قبل ثلاثة أشهر من الحادث.

كما أن في أمريكا وحدها ثلاثمائة عنصراً ميلشياً منها من يقف مع تفكك الولايات المتحدة، وفيها قادة عنصريون في مواجهة اليهود والعرب أو عنصريون ضد الهنود السود وهؤلاء أشبه بمجموعات مسلحة وأثبتوا قدرتهم على تفجير المبنى الفيدرالي في (أوكلوهوما) منذ ثلاث سنوات[1].

في الجانب الآخر هناك المجموعات الثورية التي لامست أصابعها تهديداً جدياً، مثل منظمات العنف في اليابان، ومنها الجيش الأحمر الذي لا تخف رغبته أبداً من الانتقام والعمل ضد أميركا التي استخدمت القنابل النووية على هيروشيما وناكازاكي عام ١٩٤٥.

وفي هذا فإن الولايات المتحدة لم تعط للآخرين رأياً محدداً للإرهاب في تصنيف التنظيمات في المنطقة العربية والإسلامية في حين توجد منظمات متطرفة منتشرة في بقاع العالم مثل منظمة بادر ماينهوف الألمانية، الأولوية الحمراء الإيطالية، حزب العمال الكردي في تركيا، نمور التأميل في سريلانكا، منظمة ايتا في إسبانيا، الجيش الإرلندي في إرلندا فقد استثنتهما أمريكا من القائمة وأبقت سيفها مسلط على رقاب كل ما هو مسلم وعربي...

الولايات المتحدة تعرف أن مسالة تعريف الإرهاب لا يمكن إقناع الصين وروسيا بالطريقة التي تريدها حيث المصالح المتشابكة مع الدول الأخرى، وعلى هذا الأساس فإن الرئيس الأميريكي (بوش) وفي زحمة العواطف لفقدان الضحايا قد اطلق عباراته المشهورة إلى العالم " إما أن تكونوا مع الولايات المتحدة أو مع الإرهاب" وفي يوم ٩/٢٠ وفي خطاب متلفز (لبوش) في الكونجرس الأمريكي بقوله " سنستخدم كل الأساليب

---

(١) جريدة بابل البغدادية، ١١ أيلول ٢٠٠٢ العدد ٣٤٤٩، ص٢١.

وسنجعل الإرهابيين يتصارعون فيما بينهم"[1]. في الجانب الآخر وبوقت مبكر اتخذت وزارة الدفاع (البنتاغون) تدابيرها الاستراتيجية تمهيداً لتدمير معقل بن لادن وتنظيم القاعدة.

الحشد الأميركي والحليف في دول الجوار

تضمنت المادة الخامسة من لائحة حلف شمال الإطلسي، أنه إذا ما حصل اعتداء على أية دولة من دول الحلف فإن ذلك يعتبر اعتداء على دول الحلف، فدخلت الولايات المتحدة من هذا الباب ولم تلجأ إلى الأمم المتحدة لمناقشة الموضوع وإصدار قرار، وإنما اكتفت أنها ذكرت وفق المادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة وأنها تعرضت إلى حرب وأنها سترد على ذلك.

أ- القوات الجوية والصاروخية

أولاً: حاملة طائرات (كارل فنسن) (وانتر برايز) الموجودتان في المحيط الهندي وكل واحد تحمل خمس وسبعين طائرة من طراز (F-14) (F-18) وطائرات تشويش الكتروني (AE/68).

ثانياً: حاملة الطائرات (روزفلت) تحمل ثمانين طائرة مقاتلة.

ثالثاً: ثلاثمائة وخمسون طائرة مقاتلة في قواعد جوية باكستانية وأوزبكستانية وقرغسيانية.

رابعاً: طائرات (B-52) و (B-1) في جزيرة (ديغوغارسيا) في المحيط الهندي.

---

(١) جريدة بابل الصادرة يوم ٢١ أيلول ٢٠٠١، نشرت وزارة الخارجية الأميركية أسماء المنظمات الإرهابية، تنظيم القاعدة (أفغانستان) الجهاد الإسلامي (مصر) الجماعة الإسلامية (الجزائر) أبو سياف (الفلبين) حزب الله (لبنان) جيش عدن (اليمن) جيش محمد (ص) كشمير.

خامساً: حاملة الطائرات (كيتي هوك) وعلى ظهرها خمس وثمانين طائرة أبحرت من اليابان إلى المحيط الهندي.

سادساً: حاملة طائرات (ريلاستريوس) البريطانية تحمل خمسة عشر قاذفة من طراز (هاريير) وسي هارير).

سابعاً: طائرات (U2) لأغراض التجسس.

ثامناً: مجموعات من طائرات الهليوكبتر لعمل المجموعات الخاصة في أوزبكستان.

تاسعاً: طائرة التجسس (غلوبال هوك) التي تطير على ارتفاعات عالية بدون طيار.

عاشراً: طائرة الاستطلاع (بريدتيور) التي تطير على ارتفاعات أكثر انخفاضاً من (غلوبال هوك) وتتمكن من التقاط صور بالغة الدقة للأهداف المقصودة.

أحد عشر: طائرة (A–8) من طراز بوينغ (٧٠٧) معدلة تسمى (Joint Stars) مزودة برادار يمكن أن يحدد الآليات على بعد (٢٠٠) كم من الأرض وفي كل الأجواء. والفكرة الأولية هي اكتشاف الآليات مثل الدبابات والشاحنات في ميدان معركة تقليدي، ولكن في حرب وصفها وزير الدفاع (رونالد رامسفيلد) بأنها لا تشبه أي حرب سابقة، فإن الآليات التي تتم متابعتها تشمل الشاحنات الخفيفة التي تستخدمها حركة طالبان.

اثنا عشر: صواريخ كروز (توماهوك) استخدمها الجيش الأميركي من السفن أو الغواصات خلال حرب الخليج، بمدى (١٦٠٩) كم وبسرعة (٨٨٥) كم في الساعة.

ثلاثة عشر: صاروخ (هيلفاير) مضاد للدروع موجه بأشعة الليزر.

أربعة عشر: قنابل (G.B.U.28) مخصصة لتدمير المخابئ والكهوف، وزنها حوالي ٢/١ نصف طن وهي موجهة بأشعة الليزر لتدمير الأهداف التي تحت الأرض ومنها مقرات القيادة تحت الأرض، استخدمت في العراق ضد (ملجأ العامرية) في ١٣ شباط ١٩٩١. وسببت خسائر مأسأوية كما استخدمت ضد مخابئ (تورابورا) في أفغانستان[١].

أما عدد الطائرات المشتركة في الحملة الجوية فقد وصلت إلى (٥٧٠) طائرة مقاتلة.

القوات البرية

بعد دراسة مستفيضة لتقارير الاستخبارات التي حصلت عليها الولايات المتحدة خلال فترة قصيرة بعد أحداث (١١) أيلول، وخاصة الاستخبارات الباكستانية والهندية وقوات التحالف الشمالي الأفغانية وهي متمركزة على أرض شمال أفغانستان، وبالتحديد في مقاطعة (مزار شريف) والولايات الشمالية الأخرى خارج سيطرة قوة طالبان، كان التخطيط يضع في الاعتبار طبيعة الأرض الأفغانية، ووجود قوة معارضة وقلة الأهداف الاستراتيجية المطلوب تدميرها، إضافة إلى طبيعة تنظيم حركة طالبان وتسليحها، فكان الأمر بتهيئة مجموعات خاصة تتحمل ظروف وقسأوة شتاء أرض تلك الدولة الفقيرة بمواردها.

(أ) الكتيبة (٢٦) مشاه البحرية (مارينز) نقلتها مجموعة بحرية مؤلفة من ثلاثة سفن وقوتها (٢٢٠٠) مقاتل.

---

(١) عبر شبكة الإنترنت عن القوات الجوية الأمريكية في أفغانستان: إن عدد العاملين في القيادة المركزية من ضباط وجنود القوات الجوية بلغ (٥٥٠٠٠) عنصر مقاتل، منهم (٧٥٠٠) في أفغانستان (١٠٠٠) في الباكستان، (١٠٠٠) في قرغيستيان، (١٧٠٠) في أوزبكستان، (١٣٠٠٠) على ظهر حاملات الطائرات. وبالإضافة إلى هذا فإن (٥١٠٠) في السعودية و (٣٩٠٠) في قطر، (٣٥٠٠) في عمان، (٤٥٠٠) في البحرين، (٨٥٠) في الإمارات، (٦٤) في اليمن.

(ب) الكتيبة (٧٥) (Ranger) صاعقة وقوتها (١٥٠٠) مقاتل.

(ج) قوة الدلتا الخاصة التي تكلف بواجبات ذات أهمية كبيرة لم يعلن عن عدد مقاتليها.

(د) قوة برية بريطانية قوامها ثلاثة وعشرون ألف عنصر بري وجوي بضمنهم ثلاثة آلاف عنصر للعمليات الخاصة، تمركزت بوقت مبكر في شمال أفغانستان للتكيف على طبيعة الأرض والواجبات وتهيئة الأدلاء من قوة التحالف الشمالي.

(ه) قوة خاصة (استرالية) قوامها ألف وخمسمائة مقاتل شاركت في واجبات خاصة على الأرض الأفغانية[1].

(و) أبدت دول من حلف شمال الأطلسي مثل ألمانيا، فرنسا، إيطاليا، تركيا إرسال قوة إلى شمال أفغانستان تحت غطاء المعاونة الإنسانية للشعب الأفغاني.

القوات البحرية

(أ) غواصات أميركية مخصصة لإطلاق صواريخ عابرة من طراز (توماهوك).

(ب) مجموعة من أربعة عشر سفينة أميركية في المحيط الهندي لنقل المؤن إلى القوات الخاصة الموجودة على الأرض الأفغانية.

(ج) أربع مدمرات، وخمس كاسحات الغام وثلاث غواصات نووية بريطانية لمؤازرة البحرية الأميركية.

(د) تم تهيئة مركز التنصت البريطاني الموجود في جزيرة قبرص لاستلام المكالمات عبر أفغانستان.

---

(١) شبكة الإنترنت، وانظر كذلك جريدة بابل شباط، ٢٠٠٢، ص٢٢.

أسلحة القتال الجديدة

بعد مرور خمسة أعوام على انتهاء حرب الخليج الثانية، توقفت برامج التطوير للأسلحة انتظاراً لما استخلصته حروب السنوات العشر الأخيرة التي خاضتها القوات الأمريكية والأوروبية في حرب الكويت ١٩٩١، وحرب البوسنة ١٩٩٩.

ويذكر المحلل العسكري لصحيفة (نيويورك تايمز) مثلاً أن (٧٪) فقط من القذائف التي تم إطلاقها على العراق قد اتجهت إلى أهداف عسكرية، بينما اتجه ٧٠٪ منها إلى أهداف مدنية وسقط الباقي أي ما نسبته ٢٣٪ بصورة عشوائية. ولغرض تبرير ما حدث ذهب الناطق بلسان وزارة الدفاع أن هناك ضعف بالأداء وأخطاء ارتكبت، غير أن الأمر تكرر بعد بدء القصف الجوي والصاروخي العنيف على العراق في مطلع شهر أيلول عام ١٩٩٦ فأعلنت وزارة الدفاع يوم ١٩٩٦/٩/٦ أن نصف صواريخ (كروز) الأربعة والأربعين من طراز (توماهوك) التي أطلقتها الوحدات البحرية الأميركية من البحر الأحمر والخليج وطائرات (B–2) قد أصابت أهدافها العراقية، أما النصف الآخر فذكرت الوزارة إلى (أخطاء في البرمجة الكمبيوترية)[١]. أما في بريطانيا فقد صدر تقرير رسمي يوم ١٩٩٩/٨/١٤ عن مستوى أداء الطائرات المقاتلة البريطانية والصواريخ ضد الأهداف الصربية، فتبين أن النسبة لم تزيد عن ٤٠٪ مما شكل حرجاً كبيراً لوزارة الدفاع[٢].

وضمن هذا المفهوم خصصت الولايات المتحدة ميزانيات ضخمة في السنوات السبع الأخيرة لتحديث أكثر من مائة سلاح جديد وركزت اللجان على تطوير أسلحة ومعدات وتجهيزات محددة تلائم احتياجات حروب القرن الحادي والعشرين لتشمل:

---

(١) ل ر عدنان عبد الجبا، الأبعاد السوقية لحرب أمريكا الجديدة، مختارات سوفيتية، جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا، العدد/٥، ٢٠٠٢، ص ١٦.

(٢) عدنان عبد الجبار، المصدر السابق، ص ١٧.

(أ) استخدام الطائرات بلا طيارين موقعاً محورياً بعدما أظهرت قدرة متميزة في إنجاز العديد من المهام مثل الاستطلاع والتجسس والقصف والقتال مروراً بالعديد من المهام الأخرى... وتعتبر مثل هذه ذات جدوى طالما لا تعرض حياة الطيارين للمخاطر.

(ب) تطوير الصواريخ المختلفة والصواريخ المضادة للصواريخ البالستية بشكل خاص، ذلك أن التوجه العام للعسكرية الأمريكية يحرص حالياً على خوض الحرب عن بعد لتجنب الخسائر البشرية التي تنجم عن المواجهة المباشرة بين الوحدات المتحاربة، أن هذا التوجه أدى إلى الاستفادة القصوى من تفوق معلوماتي وتقني وسيطرة إلكترونية وأسلحة ذكية لتحقيق دقة إصابة وكفاءة منأورة وغزارة نيران وسرعة رمي لتحقيق ردع حاسم، أو نصر سريع من غير حاجة إلى زج حشود ضخمة للقوات في ساحة القتال[1]. كما اهتمت عمليات تطوير الأسلحة الجديدة لإنجاز واجب تعطيل أسلحة العدو أو تدميرها بسرعة وبالتالي تحييدها وشل قدرة الجندي القتالية [2].

حركة طالبان

بعد خروج الاتحاد السوفييتي مجبراً من أفغانستان في عام ١٩٨٩م ودخول الأحزاب الإسلامية السبعة الرئيسية إلى العاصمة (كابل)، ظهر فيما بعد ما كان خافياً في صدور البعض من قادتهم وطروحاتهم الضيقة في الاستحواذ على الحكم والتنكر للآخرين والعودة للقبلية بدل التهيؤ لمرحلة جديدة من البناء والأعمار.

---

(١) ل ر عدنان عبد الجبا، الأبعاد السوقية لحرب أمريكا الجديدة، المصدر السابق، ص١٠-١١.

(٢) تشير الدراسات الأمريكية إلى نيتها إنتاج صواريخ ذات رؤوس حربية متعددة وقدرة تدمير تمتاز بالتعرف على أهدافها طوعياً، مثل صاروخ (الصدمة) سنة ٢٠٠٦، كذلك صاروخ (لام) الذي ينطلق عمودياً ويفتك بالمدرعات المعادية على مدى (١٠٠) كم ويستطيع الحوم لمدة (٣٠) ثانية.

في عام ١٩٩٤م ظهرت قوة طالبان على الأرض الأفغانية، بعد تفاقم تناحر قادة المجموعات الإسلامية على الحكم، وأغلب رواد هذه الحركة الجديدة ينتمون إلى طلاب العلوم الدينية، وبعد مرور عامين تمكنت هذه الحركة بعد أن جمعت بحدود مائة ألف مقاتل من قبيلة (البشتون) التي ينتمون إليها من الاستيلاء على (كابل) العاصمة وبأسلحة مشابهة لما لدى الطرف الآخر (التحالف الشمالي).

أما تسليح الحركة فإنه مشابه تماماً لما لدى الطرف الآخر وأغلبها (سوفيتية) الصنع حصل عليها الطرفان من جراء هروب أعداد غفيرة من الجيش الأفغاني والتحاقهم بأبناء جلدتهم بعد الغزو السوفييتي، وكذلك من بقايا الأسلحة المصرية (صنع سوفيتي) التي جرى تسويقها إلى أفغانستان عبر باكستان باتفاق أمريكي لمقاومة الشيوعية.

وبقياس تسليح جيوش دول الجوار فإن الحركة تبقى متأخرة بفاصلة من الزمن فالمتيسر لديهم بنادق آلية، هأونات من عيار (٦٠) و (٨٢)ملم و (١٢٠) ملم ومدفعية من عيار (١٢٢) ملم و (١٣٠) ملم ودبابات بأعداد قليلة لا تشكل أكثر من لواء مدرع من طراز (T–55) (T–54). أما طائراتهم المقاتلة فإن أحدث ما لديهم من طراز (MIG–21) التي استخدمها العرب في حرب ١٩٦٧م ضد إسرائيل. وأن ما يرسل من أسلحة وتجهيزات كان يتم عبر صندوق مالي تكفلته السعودية والولايات المتحدة، أما تدريب مقاتلي الحركة فتم على يد نخبة من ضباط الجيش الباكستان، وبسرعة، تلقى أفراد الحركة المعرفة وتراكمت لديهم الخبرة بقليل من القتالات الخاصة فقد تمكنت من السيطرة على (كابل) العاصمة والاستيلاء على ٨٥٪ من أرض أفغانستان بضمنها المدن الرئيسية مزار شريف، جلال آباد، قندهار، هيرات في عام ١٩٩٦[1].

---

(١) إبراهيم عبد الطالب، فن الحرب على الأرض الافغانية، وزارة الدفاع العراقية، المجلة العسكرية، العدد٢، تموز ٢٠٠٢م، ص ١٠٢–١٠٣.

أما وضع حركة طالبان قبل القصف الجوي الأمريكي، فإنها تمكنت من طرد قوة التحالف الشمالي بقيادة أحمد شاه مسعود[1]. عام ١٩٩٦ م من (كابل) ولجوءها إلى المناطق الشمالية من البلاد بالقرب من طاجاكستان وازبكستان حيث أن معظم مقاتلي التحالف ينتمون عرقياً إلى الدولتين.

من الناحية الاستراتيجية فإن الحركة لم تتمكن من خلق المناخ المناسب لكل أفراد الشعب الافغاني، فظلت جموع عديدة منهم لاجئة عند دول الجوار، وألقت حالة الريبة والشك مع قبيلتي الطاجيك والأوزبك مما حرمها من التعامل مع قادتهما. وفي معاركها مع قوة التحالف، فقد مكنتهم قوتهم القتالية من المناورة بمجموعات قتالية متباعدة وزجها في الوقت المناسب للدفاع أو الهجوم، كما امتازت قدرة مقاتليهم وقادتهم الجدد الذين يتمتعون بالإبداع وقابلية الحركة وزرع الالغام في بسط نفوذهم وتعبئة أفرادهم في دفاعات مدبرة وقتالات خاصة واحراز انتصارات قتالية على خصمهم.

في يوم ٧ تشرين أول ٢٠٠١ بدأت القوات الجوية الأمريكية والحليفة والأسلحة الصاروخية من طراز (كروز وتوماهوك) وسواها بضرب المدن والأهداف المختلفة في أفغانستان، وأمكن خلال أسبوع واحد من إطلاق أكثر من ألفي صاروخ، وتبعها نهاراً

---

(١) أحمد شاه مسعود (٤٩) سنة، يوم ٢٠٠١/٩/٩ (ليلة اغتياله) ظل حتى الفجر يناقش مع صديقه الحميم مسعود خليلي، وكان برنامجه لليوم التالي مقابلة صحفيين عربيين قبل أن يتأول الغذاء على ضفاف نهر (أمو داريا) كان من عشاق الشعر، وكان يشعر بالقلق من تزايد المرتزقة الأجانب في باكستان، ووضع قيادة طالبان تحت أمرة (أسامة بن لادن)، وضرورة أعداد قواته مع اقتراب فصل الشتاء، وتركز الحديث على تخوف مسعود من هجوم قريب قد تقوم به قوات طالبان في سهل (شومالي) قرب (تاخار) حيث كانت هذه القوات تسيطر على كافة أنحاء البلاد باستثناء هذه المنطقة في شمال شرق البلاد والتي كانت حصن مسعود المنيع وفي يوم ٩/٩ طلب أحمد شاه نحو (٢٥) من قادته وبحث معهم الأعداد لهجوم مضاد على طالبان، فقد كان يخشى حسب (خليلي) من تمكن طالبان من الوصول إلى (بدخشان) الوحيدة التي كانت لا تزال خارج سيطرتهم.

قيام المقاتلات الأمريكية بقصف القواعد الجوية ومقرات الحركة [1]. ومعسكراتهم وأسلحة الدفاع الجوي مع تركيز مكثف على دفاعات الحركة في المناطق الامامية المواجهة لقوات التحالف الشمالي في منطقة مزار الشريف، التي قدرتها استخبارات الحركة بـ أربعمائة ألف مقاتل و ثلاثمائة دبابة وعدد من الطائرات المقاتلة الصالحة للاستعمال وكانت بحدود خمسة عشر طائرة [2].

الخداع التعبوي

قيدت الحركة مجموعاتها القتالية لممارسة أعمال قتالية بمنطقة الدفاع الرئيسية وظلت في ظروف الموقف الجديد تمارس الدفاع المدبر الذي بات يستنزفهم نزيفاً مضاعفاً ولا فائدة ترجى منه. إن وجود مقاتلين في الميدان شيء وإدارة الحرب أمام عدو يتمتع بقدرة تكنولوجية متطورة شيء آخر، وعلى هذا الأساس فقد وجدت الولايات المتحدة قوة التحالف فرصة مناسبة جداً لقهر خصمهم بدون حاجة لتقديم قوات برية لقتال عناصر طالبان بصورة مباشرة.

وبتنسيق بين الأفغاني الحليف والأمريكي الذين اقتربت مصالحهم لإزاحة حركة طالبان، فقد وفرت القوات الأمريكية ضباط ارتباط مع الجنرال عبد الرشيد دوستم قائد التحالف لطلب الإسناد أو المعلومات الاستخبارية التي ظلت توفرها المجموعات الخاصة الأمريكية والبريطانية قبل بدء القصف الجوي، كما أن قائد

---

(١) في أفغانستان عدد قليل من الأهداف الثابتة وبسبب ضعف الدفاع الجوي، لحركة طالبان، فقد تم تدميرها في الموجات الأولى للقصف الجوي، نجيب عبد الفتاح، أسس التعبئة الأرضية السوفيتية، المجلة العسكرية عدد خاص، وزارة الدفاع العراقية، مديرية التدريب العسكري، ١٩٨٠، ص ١٥٨ (ترجمة).

(٢) إبراهيم عبد الطالب، فن الحرب على الأرض الافغانية، المصدر السابق، ص ١٠٤.

التحالف الشمالي ظل هو الآخر يستلم التوجيهات من القيادة الأمريكية المتمركزة في منطقة (مزار شريف) [1].

ففي المعركة الأولى التي نشبت بين الطرفين يومي (٩ ـ ١٠) تشرين الثاني وبعد خمسة أسابيع من القصف الجوي الأمريكي أو الحليف عن بعد [2] اعتقدت الحركة أن عدوها سيحأول التقدم وتأسيس تماس بدفاعاتها المدبرة أسوةً كما كانت تقاتل في السابق، والفرق هو بقاءها في حالة دفاع. غير أن الذي حدث هو خسارة الحركة سبعون قتيلاً قبل بدء المنأوشات ونفس العدد أو أكثر من الجرحى والأسرى، وبنفس الوقت وجد المخطط الأمريكي ضرورة إرباك حركة طالبان وذلك بظهور مجموعات مقاتلة حليفة خلف قوات طالبان، فجرى الإيعاز لمهاجمة قوات الحركة في منطقة (باميان) وسط البلاد حيث يقف حزب الوحدة المناهض للحركة بقيادة (كريم خليلي)، وتمكنت قوة التحالف في غضون أربعة أيام من السيطرة على (باميان) وكسب أسلحة وتجهيزات الحركة وأرض مستولى عليها في وقت ظلت قوات التحالف تحأول إنجاز ذلك مدة خمسة أعوام.

ولم يعد ينفع الحركة الانسحاب (التكتيكي) الذي ادعته وتوالت الانهيارات والتدافع من مكان إلى آخر.

في الجانب العملياتي، خططت قيادة القوة الأمريكية والحليفة أن تجري المنأورة بقوات محمولة جواً من المجموعات الخاصة لإنزالها خلف دفاعات الحركة وعلى الممرات الجبلية في منطقة مزار الشريف إذا ما استدعت الحاجة رغم عمليات القصف الصاروخي والجوي، إلا أن ما ظهر فيما بعد أن اجراءات المنأورة بالقوات لم تعد بحاجة

---

(١) ابراهيم عبد الطالب، المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٢) طائرة (F–18) (٣٧٠٠) طلعة، مقابل ١٢٠٠ لـ (F–14) من حاملات طائرات البحرية، وكذلك F–15E (٢٥٠ طلعة جوية)، F–16(٤٧٠ طلعة) من القوات الجوية الأمريكية لإسناد الحملة الجوية..

إليها في منطقة الدفاعات الرئيسية وأن المنأورة بالنار هي المطلوبة لملاحقة مجموعات طالبان المتقهقرة من أرض المعركة.

في الجانب الإداري، أفغانستان من البلدان المغلقة أي عدم توفر ميناء على البحر، مما جعل تأسيس المناطق الإدارية ونقل كل أصناف التموينات يتم عبر الباكستان ومياه (كراجي) وكذلك عبر أوزبكستان ولكن بكميات قليلة جداً بالقياس للأولى.

إن خدمة الإدامة في الجيش الأمريكي مبنية على قيادات إسناد التي بدورها تستلم وتنقل التموينات والتجهيزات إلى قيادات اسناد الفرق ووفق سلسلة الإدامة تصل إلى أفواج الإسناد الأمامية التي تسند قوة القتال الفعلية وعلى هذا فقد تمكنت أفواج الإسناد من تأسيس نقاط إدارية قرب الحدود الشمالية الغربية من أراضي الباكستان ثم جرى نقلها إلى أماكن أمينة بعد طرد حركة طالبان من المدن الرئيسية، حيث أمنت الماء والأرزاق، والوقود، والعتاد لمجموعاتها وطائراتها، وكذلك متطلبات حركة المجموعات الخاصة التي أرسلت بوقت مبكر خلف دفاعات قوات طالبان.

فمثلاً تم تأسيس نقطة إدارية قرب قاعدة (يعقوب آباد) الباكستانية القريبة من الحدود الافغانية لغرض إمداد طائراتها المقاتلة بالوقود وعناصرها بمتطلبات المعيشة، وكذلك استخدام القاعدة الجوية (توزيل) في أوزبكستان القريبة من الحدود وفق تخطيط ضباط القيادة المركزية، فإن الحملة الجوية استمرت حتى مع تقدم القوات البرية لقوة التحالف وعمل المجموعات الخاصة الأمريكية والبريطانية حول مدار المدن الرئيسية التي تتواجد فيها قوات حركة طالبان في جلال آباد، كابل، قندهار، هيرات، وكانت أهداف المجموعات، البحث عن معسكرات تدريب صواريخ سكود، مدارج الطائرات والطائرات، مخازن الأسلحة والوقود، مدافع مقأومة الطائرات، وأسامة بن لادن ومعأونيه.

أما نزول مجموعاتها الخاصة فتم بعد قيام طائرات التجسس (U2) تنفيذ مهمات الاستطلاع الجوية للمنطقة المقصودة، وعبر رادار طائرة (Rc–135) التي تقوم بتسجيل

الإشارات اللاسلكية على الأرض، يجريء ارسال مجموعة أو أكثر من العناصر الخاصة للبحث، وبات معلوماً في نفس الوقت أن لهذه الجموعات اتصال مع مقاتلات موجودة على الأرض وعلى حاملات الطائرات، وحتى القاصفات (B1,B52) في حال اتجهت أمور القوة على الأرض إلى السوء أو في حال استدعي الأمر تنفيذ هجوم للتضليل.

خلال الفترة التي أعقبت القصف الجوي، واستمراره، فقد توجهت قوة التحالف الشمالي بمعونة استخبارات القوات الأمريكية إلى مدينة جلال آباد ثم العاصمة (كابل) التي جرت فيها أعمال تخريب، وقتل ونهب بين عناصر عرقية تنتمي إلى مجموعة غير بشتونية، ولم يبق للحركة إلا معقلها الأخير في قندهار والتي يتخذها الملا (عمر) زعيم الحركة مقراً له ولقيادته، وبقتال غير منظم فقدت حركة طالبان كل الأرض التي كانت تسيطر عليها بفترة قصيرة جداً لا تتعدى اثني عشر يوماً.

استراتيجية جديدة

أفرز التوجه الأمريكي لمحاربة الإرهاب نزوعاً جارفاً نحو الهيمنة، وبات شعار (مكافحة الارهاب) بعد الحادي عشر من أيلول هو البديل لشعار (مكافحة الشيوعية) زمن الحرب البادرة، وبدأت السياسة الخارجية الأمريكية تحدث تحولاً في السياسة الدفاعية من كونها سياسة تقوم على مبدأ الاحتواء إلى سياسة دفاعية تقوم على مفهوم (الهجوم الوقائي) وفي السياق نفسه وبعيداً عن الوجه السافر لمفهوم الهجوم الوقائي، بدأت السياسة الخارجية الأمريكية حملة للتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى مطالبة بإحداث تغيرات في مناهج التعليم بدعوى أنها تشجع على التطرف وكراهية الآخرين، وبدأ العالميّن العربي والاسلامي هما المستهدفين الأساسيين من هذه الحملة على اعتبار أن المتهمين باعتداءات الحادي عشر من أيلول هم من هذه الدول وقد فعلوا هذا بتحريض مبطن من ثقافة دولهم المختلفة وبهذه الخطوات أرادت الولايات المتحدة وبتصور خاطئ عن الإسلام مسخ ثقافة هذه الدول وإفساح المجال لتكريس النموذج

الثقافي الأمريكي، الذي يمثل الأساس الأيدلوجي للسياسة الخارجية الأمريكية الجديدة باعتباره الأرقى مقارنة بالثقافات الأخرى، وعلى الرغم من الصراع الحالي الذي تشهده الولايات المتحدة بين من يسمّون بالصقور والحمائم في إدارة الرئيس بوش، حول هذا التوجه الجديد للسياسة الخارجية الأمريكية. فإن مؤشرات القوة تبدو لصالح الصقور الذين يدفعون في سبيل تكريس هذا التوجه الامبراطوري، وقد أدى الانتصار السريع الذي حققته الولايات المتحدة على حركة طالبان إلى تدعيم قناعتها بالاعتماد على مبدأ القوة (الفجة) كسبيل وحيد لمحاربة ظاهرة الإرهاب باعادة ترتيب العالم وفقاً للمنظور الأمريكي، وهو مايصب في صالح تصور الصقور الذي يسير فيه نائب الرئيس (تشيني) ومستشارة الأمن القومي (كوندليزا رايز) ووزير الدفاع (رامسفيلد) ونائبه (بول وولفوفتيز)، حتى لم يبق أثر لما يسمون بالحمائم، وبدأ الجميع يعزفون على نغم واحد وهو التصرف مع الدول المستقلة أشبه بولاية تابعة لها، ففي حادثة غريبة، أن تقوم المخابرات المركزية الأمريكية بخطف باكستاني من بلاده حيث أدعت أنه هرب عام ١٩٩٣ بدعوى قتله ضابطين من C.I.A في أمريكا، وفي عام ١٩٩٧، جرى خطفه بدون علم السلطات الباكستانية، وأخضع للمحاكمة، وبعد مرور خمس سنوات جرى إعدامه وإرسال جثته إلى ذويه... كما أن تهورها في السياسة، وإصرارها على مناطق الحظر الجوي في شمال وجنوب العراق بدون أي حق وبدون قرار من مجلس الأمن وأخيراً القرار (١٢٤١) الذي يعطي المفتشين الدوليين حق التفتيش في أي مكان في العراق، وزادت عليه إدارة بوش بطلبها أسماء العلماء الذين اشتغلوا بأسلحة الدمار الشامل في العراق.